الفصل الثانى

التباين بين الصدق والحقيقة

الفصل الثانى

التباين بين الصدق والحقيقة

إن مصطلح «Truth» له مقابلان عربيان هما: الحقيقة(*) والصدق - ومن البديهي أن الكلمتين متداخلتان، فيجوز أحياناً إتاحة الحرية للمفاضلة بينهما، واستعمال ما يحبذه المترجم منهما، لكن فى المنطق وما يتصل به من نظرية المعرفة، لابد من استعمال كلمة « الصدق « كترجمة حقيقية لكلمة «Truth» لأن مدار الحديث هو صدق القضية أو التقرير أو العبارة، خصوصاً وأن الصدق هنا يقابل الكذب. وفي الفلسفة والميتافيزيقا، فإننا يجب علينا أن نستخدم كلمة «حقيقة» كترجمة لكلمة « Truth»[1]. وبالتالي يكون للكلمة الانجليزية» Truth» معنيان اثنان، أحدهما يستخدم في مجال المنطق ونظرية المعرفة، والآخر يستخدم على نطاق الفكر الفلسفي والميتافيزيقي بمعني الحقيقة. والذي يعنينا هنا هو مفهوم الصدق من خلال الإطار الذي تم تقديمه في النظريات المتعلقة بمجال المنطق وفلسفات العلم واللغة والعقل، وذلك ليكون مدخل لدراسة الصدق الواقعي فى فلسفة سانتيانا لنعرف الكيفية والمنهج الذي اتبعه فيلسوفنا فى الخروج من التقليد - أعني نظرية المعرفة والمنطق لكي يصوغ نظريته فى إطار الواقعية النقدية المعاصرة - وأعني به إطار الوجود أو الأنطولوجيا.

يعد مفهوم الصدق Truth من المفاهيم المهمة التى احتلت مكاناً بارزاً فى تاريخ الفكر

(*) الحقيقة فى اللغة ما أقر فى الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك، وحقيقة الشيء خالصه، وكنهه، ومحضه، وحقيقة الأمر يقين شأنه، وحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه والدفاع عنه.
انظر - جميل صليبا: المعجم الفلسفى، المجلد الأول، مرجع سابق، ص485.

(2) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة،، ترجمة/ عادل مصطفى، مراجعة د/ يمنى طريف الخولي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005م، ص 46.

الإنسـانى على وجه العموم، والفكر الفلسـفى على وجه الخصوص. وهنـا يتبلور المعنى اللغوى لكلمة الصدق فى اللغتين العربية والإنجليزية مثلاً أن الصدق ضد الكذب، أو نقيض الكذب، وهو مطابقة الكلام للواقع بحسـب اعتقاد المتكلم[1]. وفي قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية يعرف الصدق بأنه «التطابق مع الواقعة، والإتفاق مع الواقع» Truth: conformity with fact, agreement with reality.،وأول مـا نلاحظـه على هذا المعنى اللغوى أنـه ضيق إلى حد كبير، وبالإضافة إلى ذلك لا يقدم شيئاً لتحديد معنى «المطابقة» و«الواقع»[2].

يرتبط الصدق بنظرية المعرفة، لأنه سمة أساسية فيها، فإذا كان هناك من يرى أن الصدق لا يقدم تعريفاً للمعرفة، فإن هناك على النقيض من يخبرنا بأن الصدق شرط ضرورى للمعرفة، لأن هناك التزاماً بضرورته متأصلاً فى استعمالنا لمصطلح معرفة (وما يتصل به من مصطلحات). وبالمثـل فى فكرتنا عن المعرفة، توجد ضرورة الصدق حيث ينظم اسـتعمالنا لكلمة معرفة وما يتصـل بها، حتى ولو لم نكن على دراية كاملـة بذلك، فتحليل المفهوم يبرز للنور ما هو ضمنى قابع فى ممارسـاتنا الفعلية التى كثيراً ما تتسـم بالعفوية التامـة[3]. وعليها يكون الصدق داخل بالفعل فى بناء مفهوم المعرفة.

وخـير من يمثـل اتجاه ربط الصدق بمفهـوم المعرفة هو صاحب الفلسـفة المثالية المطلقة، الفيلسـوف البريطانى «هربرت فرنسـيس برادلى»(*) Bradly (1846 - 1924) الذى قام بربط الصـدق بالمعرفـة فى هوية واحدة، بهدف أن المعرفة ليسـت فكراً صادقاً فحسـب، وإنما هى فكر تحقق فى واقع متناسب معه، فيقول «لا أدعى أن العقل يعمل مستقلاً بمفرده أو يتكلم وهو سـجين فى غرفة منعزلة، بل النقيض تماماً أن للعقل وظيفة نوعية هى ضرورة التحقيق في الواقع

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 723.

(2) صلاح إسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، الدار المصرية السعودية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005، ص ص99، 100.

(3) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص 47.

(*) يمثل برادلى امتدادًا للفلسفة المثالية المطلقة التى وطد دعائمها الفيلسوف الألمانى هيجل (1770 - 1831) وإن كان ثمة اختلاف بينهما فى الموضوع والنظرية، ولكن الاتفاق كان فى المنهج والهدف، حيث جمع برادلى بين أسلوبين هما: عمق المثالية بصفة عامة، ورجاحة الفكر الإنجليزى المعاصر فى كافة اتجاهاته الفلسفية. انظر - محمد توفيق الضوى: نظرية الصدق عند برادلى، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003م، ص3.

وامتـلاك حقوق معينة فيه، ومن ثم فأنا أصر على أننا إذا لم نأخذ هذا الفرض بجدية سـيكون التأمل مستحيلًا»[1].

بيد أن هناك جانباً عظيم الأهمية يعد بمثابة الركن الأساسى فى تحقيق الصدق وهو ضرورة أن يتحد الصدق بمعيارين أساسيين هما الاتساق coherence والشمول comprehensiveness. وعلى هذا النحو يصير الصدق بياناً لما هو صادق وتوثيقا للسعى الدءوب من أجل تأكيد صحة ما نقرره حينما نعتمد على الفكر الصحيح[2].

ولكـن...

ما النظريات التي حاولت تفسير مفهوم الصدق فى الفكر الفلسفى؟

يشهد تاريخ الفكر الفلسفى أن هناك العديد من الرؤى التى تناولت مفهوم الصدق Truth بالتحليل والمناقشـة، وعليها انقسمت نظريات الصدق إلي قسمين: نظريات الصدق التقليدية وهى التطابق والاتسـاق، والنظريات المعاصرة وهى كثيرة أهمهـا البراجماتية، وكذلك نظرية الإضافـة غير الضرورية، ونظرية إمكانية التحقق عند الوضعية المنطقية، والسـيمانطيقية أو الدلالية التي طورها الفريد تارسكي عن نظرية التطابق.

نظرية التطابق

لقـد انتـشرت نظريـة التطابـق correspondence theory في الصدق بشـكل واسـع بين الباحثين المحدثين فى الفكر الفلسـفى تحت تأثير فلسـفة برتراندرسـل - الذى يرى أن الصدق يحتوى في بعـض صوره على فكرة التطابق بين الإعتقاد والواقعة Belief and fact. وكانت هذه النظرية لرسل تقف ضد نظرية المثاليين المطلقة والتي ترى أن الصدق يتضمن الاتساق[3].

ومـؤدى هذه النظرية أن القضية الصادقة لابد أن تـأتى متطابقة مع الوقائع الخارجية التى

(1) المرجع السابق: ص14.

(2) المرجع السابق: ص 13.

(3) A. N. Prior: Correspondence Theory of Truth, in the Encyclopedia of Philosophy, Vol 11, PP.223, 224.

تتحدث عنها هذه القضية، ومعنى ذلك أن معيار الصدق هو تطابق الفكرة أو الاعتقاد مع وقائع العالم الفعلى. فلو قال قائل «الباب مفتوح» لكان صدقه يتوقف على الوجود الفعلى لهذا الباب الذى يتحدث عنه ويكون على حالة معينة، تلك التى نصفها بأنها تدل على أن الباب مفتوح وإذا لم تكن هناك هذه الواقعة كان القول كاذباً[1].

ومعنى ذلك، أن لصدق الخبر فى هذه النظرية شرطين: أحدهما مطابقته للواقع، والآخر مطابقته لاعتقاد المتكلم. فإذا كان الكلام مطابقاً للواقع، ولم يكن مطابقاً لإعتقاد المتكلم، أو كان مطابقاً لإعتقاد المتكلم، ولم يكن مطابقاً للواقع، لم يكن تام الصدق[2].

والصدق التام إذن هو المطابقة للواقع والاعتقاد معاً، فإن انعدام واحد من هذين الشرطين لم يكن الصدق تاماً[3]. فالذى يحدد التطابق أو التناظر في هذه النظرية هى القضية التى تقول «إن عبارة ما تكون صادقة إذا كانت متناظرة مع الواقع فقط»[4].

ونستنتج من ذلك أن الحديث عن التطابق يتضمن طرفين (عبارة، واقعة) يدخل ضمن مراحل الشك Doubt. أى أن موقف الفيلسوف منها لا يؤكد وجودها لأنها لا تخضع للتأكيد والتحقيق الخارجي. حيث يبدو أن هناك الكثير من الأشياء التى يطلق عليها الناس اسم حقائق، ولكن من الممكن أن تكون مجرد مسلمات presupposition أو مصادرات postutates أو ادعاءات ليس لها من سبيل إلى نور الحقيقة[5].

ومن الأدلة المؤيدة لطرفى التطابق وهما (العبارة، الواقعة) أن تاريخ الفكر الفلسفى يشهد بأن كلمة التطابق قد استخدمت للدلالة على العلاقة بين الفكر والواقع، كما أنها تتضمن صدق الفكر، وهى تظهر بوضوح فى العصور الوسطى الأوربية عند «توما الإكوينى». الذى

(1) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2004، ص57.

(2) جميل صليبا: المعجم الفلسفى، الجزء الأول، مرجع سابق، ص723.

(3) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(4) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص52.

(5) محمد حسين الشامى: الحقيقة فى فكر وليم جيمس، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق - فرع بنها، 2002م، ص ص 15،16.

استخدمها مرة واحدة على الأقل فى كتاب له يحمل اسم «التطابق»Correspondentia، ومن قبله استخدمها «اسحق الاسرائيلى» Isaac Israeli فى القرن التاسع، وكان «اسحق الاسرائيلى» يهودياً من أتباع الافلاطونية المحدثة»[1].

ثم جاءت فى القرن العشرين على وجه الخصوص مناقشة مثمرة لنظرية التطابق فى سلسلة المحاضرات التي ألقاها «جورج إدوارد مور» فى عامى (1911 - 1912) حيث رأى مور أن الصدق والكذب يبدوان لأول وهلة كصفات للقضايا propositions، ولا يستخدم مور هنا كلمة القضية ليشير بها إلى معنى الجملة الإرشادية، ولكن ليعنى بها «المصادرة» axioma ثم عدل مور عنها، وعاد يتحدث عن الوقائع لا عن القضايا[2].

لذا تعد نظرية التطابق هذه من أقدم نظريات الصدق وأكثرها شهرة وأقربها إلى الموقف الطبيعى[3]. كما تقدمت هذه النظرية كثيراً فى الفلسفة المعاصرة على يد الفلاسفة التحليليين أمثال «رسل» و«رامزى» Ramsey و«فتجنشتين» wittgenstein، وكذلك عند «ألفريد تارسكى» فى النظرية السيمانطيقية Tarski`s Semantic Theory»[4].

نظرية الاتساق

تعتبر نظرية الاتساق Coherence theory فى الصدق إحدى نظريات الصدق التقليدية، والتى تضم تحت لوائها نخبة عظيمة من فلاسفة المذهب العقلى المؤيدين للميتافيزيقا أمثال ليبنتز، اسبينوزا، هيجل، برادلى[5].

ومؤدى هذه النظرية أن القضية تكون صحيحة إذا ما جاءت متسقة مع الحقائق التى سبق أن سلمنا بها، والقضايا التى قبلناها من قبل وسلمنا بصحتها. فلو قلت عبارة غير متسقة مع ما سلمت به كانت كاذبة، و إذا جاءت متسقة مع هذا الرأى الذى قبلته وسلمت به كانت

(1) A. N. Prior:Correspondence Theory of Truth, op. cit, P. 224.

(2) Ibid: p.224.

(3) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص52.

(4) A. N. prior: Correspondence Theory of Truth, op. cit, ppp.226, 228,230

(5) Alan R. white: Coherence Theory of Truth, in, The Encyclopedia of philosophy , Vol, I, p.130.